



مزاوي حنان

تمضي السنوات مسرعة.. جيل يسلم الأمانة للجيل الذي يليه.. أصبحوا ماضيا.. كما أصبح الحاضر حاضرا.. أما المستقبل فبعلم الغيب.. لكن يظل لكل زمان أهله وحكاياتهم التي نسجوها.. منها ما كانت البسمة عنوانه وأخرى صاحبت الألم وبعضها عزفت بالحنان المشاعر الإنسانية المتنوعة.. سلسلة جديدة من «الجزاوي» ستأخذنا أحيانا للزمن الماضي بكل عبقة الجميل، كما ستحط بنا الرحال في وقتنا الحاضر لنروي حكايات أشخاص حقيقيين ومن جنسيات متعددة.. منهم من رواها لي بنفسه والبعض الآخر وصلني من المقربين منهم أو ممن عاصروهم.. حكايات متنوعة نستقي منها العبر والدروس التي لا تحصى.. ونظل الدنيا حكاية.

(الجزء الثاني)

بقلم: حنان بدر الرومي
Hanan.alroumi@gmail.com

لعم يفت الأوان

أخذت تبكي وتعدد مناقب المرحوم الطيبة.. بكت وأبكت منى وبناتها ثم طلبت أن تسمح لها بزيارتها فهي في العدة وهذا أقل واجب تقدمه للمرحوم.. حصلت على الموافقة التامة.



أعطى عبدالله خزنة الحق في استعمال سيارته مع السائق.. كما كان يمدّها بالمال.. بدأت خزنة بزيارة منى بشكل أسبوعي ودائما تدخل ومعها طبق من إعدادها.. مهاراتها في الحديث ومعرفتها بالأخبار ومرحها جعلها عضوة دائمة في جلسة منى الأسبوعية.. ومع الوقت أصبحت تدخل البيت في أي وقت وتعرفت على عائلة منى.. الأخبار كانت تصل مباشرة إلى عبدالله.. فمضى لديها ابنتان وولدان وجميعهم متزوجون.. يسكن الأولاد معها في المنزل في الدور الثاني.. الكبير لديه ابنة صغيرة والآخر متزوج قبل وفاة والده بثلاثة أشهر.

تذكر منى المرحوم بكل حب، فلقد كان طيبا ولطيفا جدا معها ولكن وضعه المالي محدود.. درست منى دورة سكرتاريا وعملت كسكرتيرة في إحدى رياض الأطفال حتى التقاعد.. علاقة منى بأختها وبقيّة أختها جيدة وهم يزورونها دائما.. حرصت خزنة على الإشارة أحيانا لعبدالله وقصته مع زوجته واهتمامه بوالديه أمام منى وأحيانا بحضور الأخت لمست عدم معرفتهم بحبه لها واستشفت أن الأم ماتت ومعها سرها.



بعد انتهاء العدة، أقامت خزنة لمنى وليمة غداء سخية وبالغت في إكرامها.. شعرت منى بالأحراج ولكن خزنة الذكية طلبت منها أن تعتبرها كوالدتها.. استمرت علاقة خزنة بمنى وكانت تزورها صباحا ليصفي لها المكان فالجميع في العمل.. لاحظت أن منى هي من تقوم بالطبخ وأن المنزل به خادمة واحدة فقط وهي دائما مشغولة بتنظيف شقق الأولاد وغسل وكى الملابس وعندما تسألها لماذا لا يجلب الأولاد خادمة لهم كان الرد أنهم يرغبون بتوفير المال.. أيقنت خزنة أن منى غير مرتاحة من زوجات ابنائها وأن مشاعر الأولاد تجاه والدهم جامدة عكس البنات.



بدأت خزنة بتنفيذ خطتها.. فكانت تشير في بعض الأحيان إلى ثراء عبدالله ورغبته بالزواج وحسن أخلاقه.. وتبدي أسفها لعدم تقدير أولاد منى لها ولتبعيها.. وحزنها الشديد على منى التي لا تزال تتمتع بالشباب والجمال ولكنها كالجوهرة المدفونة.. كانت تستغل كل فرصة لانارة الأسي على وضعها وانها ان استمرت بالتنازل فسوف تتحول إلى خادمة لزوجات الأبناء.. وطبعا أثارت خزنة البنات والأخت للوقوف معها ضد أسلوب حياة منى.



طلب عبدالله رؤية منى ليتأكد من حقيقة مشاعره.. أخذتها خزنة إلى سوق المباركية للتسوق.. أحس عبدالله عندما شاهدها أن قلبه يخبره انه لا يريد غيرها.. لقد كبرت قليلا لكنها لا تزال تتمتع بالرشاقة وجمال التقاطع.. صحيح أن شكلها الخارجي يوحي ببساطة وضعها المعيشي ولكن هذا لن يمنعه من أن يجعلها تترى على عرش قلبه.. أخبر خزنة بعزمه على الزواج منها.

رفضت منى الخطبة ولكن خزنة التي لا يمنعه شيء، استعانت بالأخت والبنات بعد أن ملأت قلوبهم ضد الأولاد وزوجاتهم فضغطوا عليها للموافقة.. كانت خزنة تحضر يوميا لزيارتها وتحديثها عن حقها في الحياة السهلة والتمتع بالسعادة والغنى.. أخبرت الأخت أخاها بالموضوع ففرح وأخذ هو الآخر يشجع منى للموافقة، فبعدها نصح الرجال.. لم يعلم الأبناء بما يدور حولهم.. في أحد الأيام تشاجرت زوجة الابن الأصغر مع منى وأساعت لها.. انهارت منى لما سمعته ولموقف ابنها الموالي لزوجته.. استغلّت خزنة الموضوع بذكاء.. وافقت منى على الزواج.



بدأت مرحلة جديدة في حياة الأثنين، وجدت منى في عبدالله الكرم والحب والاهتمام والدلال.. بمرور الوقت أيقنت أن ما ربطها بالمرحوم كان العشرة والمودة، أما الآن فهي تعيش الحب بهدوء.. انقلبت حياتها تماما لترضى زوجها.. أصبحت أكثر اهتماما بنفسها ورشاقته وأناقته.. بدأت تتعلم أتيكيت المجتمعات الراقية لترضى زوجها.. أما عبدالله فقد سلم قلبه ونفضه لحب عمره وأشرق قلبه الحزين من جديد.. أصدق الأثنان العطاء لبعضهما البعض واحترما خصوصا خصوصية حياتهما الأسرية وعلاقتها بآبائهما.. نجح الأثنان بالعزف على أوتار قلوبهما فتمتعا بالسعادة التي ينشدها كل إنسان وحولا حياتهما إلى ربيع دائم.

يجب أن يتأكد.. وكيف يتأكد؟ رفع عينيه للساعة الخشبية الكبيرة المعلقة على الحائط.. قرر أن يذهب للصليبيخات وهناك في المقبرة سيرفع الإجابة.. خرج مسرعا من غرفته إلى الباب الخارجي والخادمة تناديه للغداء.

ركن سيارته في الموقف ونزل حائرا أين سيذهب وماذا عليه ان يتصرف.. أسئلة كثيرة تتزاحم في عقله وهو لا يملك الإجابة.. قلبه يخفق بقوة خوفا من مجهول قد يصدمه.. شعر بيد تهزه بقوة التفت ليجد جاره شقيق منى يقف أمامه.. ارتجف جسده بوضوح.

الأخ: آسف لم أقصد إختك ولكنني ناديتك أكثر من مرة.. يبلع عبدالله ريقه من الصدمة يشعر وكأن حلقه قد نشف تماما: ماذا.. لا.. لا عليك كنت أفكر.

الأخ: هل عندكم حالة وفاة؟ يتمالك عبدالله نفسه ويستجمع قواه ويرد: من المعارف ولكنني حضرت مبركا.

الأخ: سندفن اليوم زوج أختي منى.. الله يرحمه توفي فجأة.. الله يصبرها.. يجتهد عبدالله لضبط ردة فعله فيقول وهو يشيح بوجهه للجانب الآخر: الله يرحمه سأصلي عليه معكم.



يقف عبدالله عند القبر وهو يحدث نفسه: مات.. أجل الموت المخيف قد يشعرونا بالراحة.. سبحان الله هنا هدأت نفسي وسكنت.. تلتفت حوله خوفا من أن يسمعه أحد.. المكان أصبح فارغا من الناس.. خيم الصمت وساد الظلام وعبدالله لا يزال واقفا عند القبر.. أيام عديدة كان عبدالله يزور القبر أكثر من مرة في اليوم.. لماذا؟ لا يجزم بالإجابة.. هل ليتأكد من أن المرحوم لن يخرج من قبره.. أم أملا في رؤيتها وهي تزور زوجها.. انه ضائع ولا يعرف ماذا يريد.

مر أكثر من خمسين يوما على الوفاة وعبدالله حائر ماذا عليه أن يفعل وما هي البداية.. ان قلبه يحدثه بأشياء جميلة وسعيدة ولكن عقله يحذره فالزمان غير الزمان والظروف تغيرت وهو لا يعرف وضع منى الحالي.. تذكر خزنة الخطابة لعلها تكون بداية الخيط ولكن كيف يصل إليها.. ذهب لشقيقته الكبرى واختلق قصة موظف لديه يريد الزواج ووالدته سيدة كبيرة في السن وانه يرغب بمساعدته.. وعدته شقيقته بحضور رقم هاتف خزنة.



يجلس أمام خزنة في صالة منزله والمخصصة لاستقبال الزبائن.. يعرفها بنفسه فيفاجأ بانها تعرفه وتعرف والديه وقصته مع زوجته.. بدأ واضحا له شدة ذكائها وقوة ذاكرتها برغم عمرها الذي تجاوز الستين عاما.. أدرك بخبرته في المفاوضات أن السيدة تملك ذكاء حادا وسرعة بديهة وقدرة على اقتناص الفرص.. قام بوضع مبلغ ثلاثمائة دينار على الطاولة.. لاحظ أن عينيهما تبران كعيني الذئب.. أخبرها ببعض حكاياته.. بحبه البري لمنى وكيف أنها تزوجت قبل أن يتقدم لها وهو الآن يريد الوصول لها.

خزنة وهي ترمق النقود: لا أعلم عنها الا القليل.. فمذ أن تركوا منزلهم انقطعتم علاقتي بوالدتها.. حتى عندما توفيت كنت مريضة ولم أقم بواجب العزاء.

عبدالله: أنا على يقين بانك تستطيعين الوصول إليها.. يؤشر بيده إلى النقود.. اعتبري هذا المبلغ هدية منى.. وان تم ما أتمناه فلك منى ألف دينار وقطعة ذهب تختارينها بنفسك.



بعد أربعة أيام تتصل خزنة وتخبره بأن منى تسكن في منطقة خيطان وأنها قد حصلت على عنوانها وأن المرحوم كان موظفا في الشؤون.. يتفق معها على أن يرسل لها سائقه الشخصي وهو في انتظار الأخبار.. تدخل خزنة لبيت منى المتواضع وتنتظر بالبكاء على المرحوم وتدعي انه كان يساعدنا دائما عند مراجعتها للوزارة ولم تعلم بوفاته الا اليوم.. وانها حصلت على العنوان من إحدى الموظفات..



اهتمام عبدالله بعمله ومتابعته لأحدث الأدوات والأجهزة الطبية في العالم ومصداقيته في التعامل جعلت شركته من الشركات المميزة في الكويت والخليج.. ارتفع دخله وبعلاقاته القوية مع العديد من الفعاليات الاقتصادية نجح في استثمار ثروته الشخصية داخل الكويت وخارجها.. أنتقل إلى خاتمة الأثرياء ولكنه لا يزال يعيش في منزل والده المتواضع.

توفي والده وهو ممسك بيده ويطلب منه أن يسامحه على ما تسبب له من آلام في حياته الزوجية.. كان عبدالله بخير والديه بأنه نسي الماضي فالحياة نصيب.. لكنه كثيرا ما كان يقف أمام النافذة المطلة على بيت الجيران والذي تغير بعد بيعه وانتقال سكانه إلى بيت آخر.. كان يعيش لحظات الماضي بنفس أحاسيسه الياقة وكثيرا ما رأى أمامه بزي المدرسة.



قبل وفاة الأم بحوالي عام أسرت له بالسسر الذي أعجبها.. أخبرته كيف انها ذهبت إلى منزل الجيران بناء على اوامر والده وهددت الجارة بأنها ستنشر قصصا وحكايات تفضح ابنها إن لم تبعدها عنه.. لذلك قامت الأم بتزويجها بسرعة.. كانت صدمة عبدالله كبيرة لكنه اجتهد لضبط مشاعره فلا عمر والدته ولا صحتها يتحملان أي رد فعل عنيف منه.. تظاهر بالبرود التام وكان الأمر لم يعد يعنيه شيء.

بمرور الأيام اكتملت حلقات القصة، فالجارة قطعت علاقتها تماما بوالدته ولم تعد تجلس معها في مجلس واحد ولا ترد حتى السلام عليها.. حاولت الجارات كثيرا إعادة المياه إلى مجاريها وبعضهن سعي إلى معرفة سبب القطيعة، لكن بابت جميع المحاولات بالفشل، احتفظت الجارات بالسر ولكل واحدة منهما سببها الخاص.

شعرت أم عبدالله بالندم لتصرفها وخافت أن تكون سببا في تعاسة منى، لذلك اجتهدت لمعرفة أخبارها قدر المستطاع وعرفت أن «خزنة» الخطابة بدأ في الموضوع.. لذلك اختلقت قصة للتفاهم المباشر مع الخطابة وأجزلت لها العطفية حتى أخبرتها بأن الجارة هي من طلبت من خزنة تزويج ابنتها.. ولقد زوجته شخص طيب ومن عائلة محترمة وأبلغتها باسمه الرباعي.. ذكرت الأم الاسم لعبدالله وطلبت منه أن يسامحها ويسامح آباء فلقد كانا يريدان له الخير ولو علما بما سيحدث له فيما بعد لما قاما بذلك.



توفيت الأم وانتقل عبدالله إلى منزله الجديد في منطقة العدلية ومعها طاقم الخدم والسائق.. أصبح منزله مركزا للتجمع العائلي الأسبوعي.. أما أولاده فاستمروا في زيارتهم الخفية.. كان عبدالله حريصا على متابعة أوضاعهم المعيشية والدراسية.. خطبت ابنته الكبرى لابن خالها وأصر الخال على أن يكون عبدالله هو وليها في عقد الزواج رغم شدة معارضة الأم.. كان أهل الطليقة يشعرون بالحرج أمام أخلاق عبدالله وكرمه.. بزواج الابنة تخلصت قليلا من سيطرة والدتها وبدأت بزيارة والدها.. سكنت نفس عبدالله بتزايد زيارات أولاده واحفاده له فيما بعد.



الطريق مزدحم فترة الظهيرة والإشارة معطلة.. رجال الشرطة ينظمون السير ولكن أبواق السيارات تتعالى مع شدة الزحام.. عبدالله بسيارته المرسيديس الجديدة في وسط الزحام وهو متعب ولا مزاج له ليتزاحم مع بقية السيارات.. سلم أمره لله ورفع صوت المذياع.. الأخبار مملّة ولا مزاج له حتى أن يغير المحطة.. بدأ المذيع بصوته الجهوري بذكر أسماء وفيات اليوم.. رن في أذنه اسم يعرفه.

أغلق عليه باب غرفته بالفتاح.. أخذ يدور حول نفسه وكأنه سحب قسرا للماضي.. صوت أمه لا يزال في أذنه وهي تذكر الاسم.. اعتقد انه نسي كل شيء ولكن روحه وقلبه لا يزالان متعلقان بها.. ولكن السؤال المهم هل الاسم الذي سمعه هو اسم زوج منى.. كانت مشاعره مختلطة، بدأ كمرهق خائف أن يضبطه أحد فلا يستطيع الهروب.. ولكن لماذا يهرب

